القطاع اليهودي» (ص ٩٥)، ولكن من دون ان يعطي حكماً هو نفسه كان قادراً عليه، خصوصاً لجهة تدعيم مشروعية هكذا تهمة، الاّ انه لم يستفض، ربما بالشكل الكافي، في النظر الى القيود المعلنة والخفية التي ترافق هذه العملية.

وفي هذا الفصل، أيضاً، علّق تسلر، استناداً الى تقارير رسمية معدّة عن العمالة في اسرائيل أكدت التفاوت في الاجور بين العرب واليهود، «بأن بعض الشكوك العربية، في هذا الخصوص، مبالغ فيها» (ص ٩٩)، وهذا التعليق لا يتناسب، في حدّه الأدنى، مع الواقع المعاش.

يشذّ الفصل السادس عن فصول الكتاب جميعها؛ فهو يخرج عن الجو الاكاديمي الصارم الى رحاب الادب، حيث سعت ليش الى تجميع بعض أعمال الكاتبة القصصية الفلسطينية، نجوى فرح، فترجمت لها ثلاث قصص من مجموعتها. وفي ١٤ صفحة (ص ١٢٦ ـ ١٣٩) قدّمت القصص الثلاث حقائق حول المعاناة الانسانية للفلسطينيين الواقعين تحت نار الاحتلال، على نحو تعجز الدراسات الاكاديمية عن الامساك بناصيته.

كان القارىء يأمل في ان يكون الفصل السابع الذي تطرّق، من جديد، الى السياسة الاسرائيلية والقضية الفلسطينية بعد اتفاقيتي كامب ديفيد، أقل اهتماماً بالوصف، وأكثر انارة للآتي، ولكن دون جدوى. تسلر، طبعاً، أشار الى تحوّل القضية الفلسطينية الى مسألة محورية في السياسات الداخلية الاسرائيلية، الحكومية منها بشكل خاص (ص ١٤٣ ـ ١٥٤)، مع التشديد على الانزعاج الذي تبديه التيارات الاشد يمينية هناك من رغبة بعض الحركات السياسية (مثل حركة السلام الآن وغيرها) بالحفاظ على استقلالية نسبية في خياراتها السياسية؛ لكنه خلص الى ان هذه الحركات، بحكم طبيعتها الهزيلة، غير قادرة على تسجيل نقاط فعلية في مسيرة السلام في المنطقة عموماً، ومع الفلسطينيين خصوصاً (ص ١٦٤ ـ ١٧٢).

كما حاول تسلر، في الفصل الثامن، القاء مزيد من الضوء على النزاع الفلسطيني ـ الاسرائيلي من خلال متغيري العلمانية والقومية. ودرس، في هذا الخصوص، ثلاثة عوامل، قد تسهم، في خاتمة المطاف، في ابراز حل قيام دولتين، شرطاً لحل النزاع. أولها، ان العرب واليهود لهم «الحق الشرعي في أرض فلسطين»؛ وثانيها، ان على اليهود والفلسطينيين تثبيت مبدأ الحق في تقرير المصير لكلا الطرفين؛ واخرها، هو انه على الطرفين المتنازعين، الفلسطيني والاسرائيلي، ان يركنا جانباً ادعاءاتهما، والبحث عن قاعدة تسووية تضمن الاعتراف المتبادل (ص ١٧٤). لكن العرض يبقى وصفياً ويثير الخيبة. فالاسئلة الاساسية ظلّت دون جواب، بل من دون صياغة: لماذا لم تؤد هذه العوامل الى تفعيل الحل الفلسطيني ـ الاسرائيلي، بل ادّت الى تأجيله، ربما الى أمد غير منظور؟ واذا كان الجانب الفلسطيني وصل الى تلك القناعات، فهل تنعكس هذه القناعات، تلقائياً، على قبول الجانب الاسرائيلي بها؟

قد يكون الفصل التاسع الوحيد الذي أعطى واو العطف ـ الجمع بين المصير الفلسطيني والاحتلال الاسرائيلي حقها، فهو فصل يعجّ بالاسئلة المثيرة للتفكير منها، مثلاً: هل ان السيطرة الاسرائيلية على الضفة الفلسطينية وقطاع غزة هي سيطرة دائمة؟

في سياق الاجابة عن ذلك، أحسن الكاتبان الاشارة الى ان أي اطار يطمح لاقرار السلام الشامل في الشرق الاوسط، لا يمكن ان يكون بمعزل عن اقامة حوار فلسطيني ـ اسرائيلي. وما يمكن ان يقال، هنا، هو ان الحلول المقترحة لاقامة مثل هذا الحوار هشّة بشكل كافٍ لكي تسمح لنا التعبير عن تشاؤمنا (انظر ص ٢١٦ ـ ٢٢٢). ففي الوقت الذي انتقلت القضية الفلسطينية، بعد كامب ديفيد، الى مرحلة أخرى، فان السياسة الاسرائيلية بقيت نفسها: الحفاظ على الوضع الراهن.

كما أحسن الكاتبان تذكيرنا بالدور المناط بالولايات المتحدة الاميركية للقيام به، في شأن ايجاد حل ما للقضية الفلسطينية، ويدعوانا الى اقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، واقامة اتصالات رسمية مع ممثله الشرعي، منظمة التحرير الفلسطينية. وبالطبع، ان في هذا الكلام ما يدغدغ العاطفة الفلسطينية؛